Identity and narrative in "woolen brides" novel by the Kuwaiti writer Mays Al – Othman

Lecturer. Dr. Ashraq Sami Abdulnabi
Basra and Arab Gulf Studies Center
The University of Basrah

Abstract:

The study examines novel of wool brides by the Kuwaiti writer Miss Khaled Al-Othman, who won Laila Al-Othman Prize for creative writing in 2006. The edition is the second one which is published by the Arab Institute for Studies and Publishing in 2007.

The paper rapidly reviewed the issue of identity and ways of representing the personality. So method which required for this study has to divide it into two sections:

The first is about the identity of the heroine as a human being who has a distinct personality. While second section is feminine identity, which is divided according to three dimensions, namely the father relationship, the celebration of the body and the sense of motherhood.

The approach adopted by the research was propose by the text itself, according to the methods of narrative analysis of the narration.

الهوية والسرد في روايات عرائس الصوف للكاتبة الكويتية ميس العثمان.

م.د. اشراق سامي عبدالنبي
مركز دراسات البصرة والخليج العربي/جامعة البصرة

المستخلص:

يدرس هذا البحث رواية عرائس الصوف للكاتبة الكويتية ميس خالد العثمان التي فازت بجائزة ليلى العثمان للإبداع الكتابي عام ٢٠٠٦ ،والطبعة التي اعتمدت عليها هي الطبعة الثانية صادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ٢٠٠٧.

حاول هذا البحث أن يمر سريعا على مسألة الهوية وطرائق تمثلها للشخصية ، واستلزم المنهج تقسيمه إلى مبحثين :

الأول: الهوية الشخصية للبطلة بوصفها إنسانا له ما يميزه عن غيره

الثاني: الهوية الأنثوية التي تفرعت وفق ثلاثة إحداثيات هي العلاقة بالأب والاحتفاء بالجسد والإحساس بالأمومة .

المقاربة التي تبناها البحث كانت من اقتراح النص نفسه ، وفق مناهج الدراسة السردية للروية.

المقدمة:

فازت رواية عرائس الصوف للكاتبة الكويتية ميس خالد العثمان بجائزة ليلى العثمان للإبداع الكتابي عام ٢٠٠٦ ،والطبعة التي اعتمدت عليها هي الطبعة الثانية صادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ٢٠٠٧.

ميس من الأصوات الأدبية الشابة التي أثبتت حضوراً نوعياً في الحركة الثقافية، فهي من جيل شاب تخلص من وصاية الخطاب المركزي في الأدب باحثاً له عن هوية قريبة من روحه ومحليته، لذا نجده أكثر لتصاقا بالكثير من تفاصيل تلك المرحلة من الجيل الذي سبقه والذي يبدو عليه التأثر بأجواء الكتابة في مصر والشام أو العراق في إنتاج السرد ورسم المشاهد وخلق الشخصيات.

وقد حاول هذا البحث أن يمر سريعاً على مسألة الهوية وطرائق تمثلها للشخصية، واستلزم المنهج تقسيمه إلى مبحثين

الأول : الهوية الشخصية للبطلة بوصفها إنسانا له ما يميزه عن غيره

الثاني: الهوية الأنثوية التي تفرعت وفق ثلاث إحداثيات هي العلاقة بالأب والاحتفاء بالجسد والإحساس بالأمومة.

المقاربة التي تبناها البحث كانت من اقتراح النص نفسه ،وفق مناهج الدراسة السردية للرواية.

تشغل دراسة الهوية في الرواية الآن حيزاً واسعاً وهاماً من عموم الدراسات النقدية، باعتبار الرواية إحدى أهم وسائل المعرفة الإنسانية الحديثة، المعرفة التي تنساب بحيوية ونعومة غير صادمة، فهي تؤرخ للإنسان أينما كان، تطرق أبواب الانثربولجيا البشرية بتفاصيل السرد الباذخ الحساسية، تطرح كبرى قضايا الأوطان من زاوية نظر محايدة تحاول أن تنتصر للإنسان أولا وأخيرا وبعيدا عن كل وجهات النظر ذات الطابع النفعي كالسياسية أو الإقتصادية أو حتى الدينية .

يتحدث من يختص بالسياسة والإجتماع عن الهوية باعتبارها مجموعة السمات المشتركة لجماعة بشرية، سمات تخص التاريخ و البيئة و الدين و المذهب أو تفاصيل أخرى كثيرة، لكن الرواية تنظر إلى الهوية نظرة فلسفية أعمق حاول ريكور إيجازها بقوله إنها : " مسار تكويني يصاغ بفن سردي وبحركة تفاعلية بين الأنا والآخر تأسيسا للوجود[١] فيتحدث عن الهوية الشخصية التي تظهر في " إنخراط الإنسان في القص هو سعي للتعرف على مناطق ملغزة في حياته بذات الأهمية حين تكشف عن مجالها المرئي والبسيط إلى الأخر لزوما أمامها[٢] إذن كل بحث عن هذه الفكرة يستدعي بالضرورة وجود (أنأ وآخر)، يتولى السرد مهمة توزيع الضمائر التي تتحدث عن الشخصيات فتقسمها إلى ماينتمي إلى التصنيف أعلاه، وحين نؤشر أن " ليس ثمة ما يصعب أن نحزره أكثر من وجهنا حين لاتكون موجودة داخل مرآة تعكس صورته ، إذا حاولت أن أتطلع إلى ذاتي ، معرضا إياها للخطر، لا أعثر إلا على ليل ، وضباب وهاوية كما لو إن ضمير المتكلم المدفوع إلى أقصاه تحول إلى عكسه في حيادية العقل أو انفجر (هكذا في الحلم)إلى أقنعة كثيرة لا قوام لها .ففي الواقع كي أتمكن من أن أقول أنا ، ينبغي أن أكون قد تعرفت إلى نفسي وأعجبت بها"[٣] حين نؤشر مثل تلك الفلسفة في فهم الهوية والنظر إلى المرآة بلغة مسكونة بالطراوة بحثنا عن وجهنا فإن ما يواجه قارئ رواية عرائس الصوف للكاتبة الكويتية ميس العثمان هو طغيان سؤال البحث عن الأنا وهويتها من خلال الآخر.

وصف الرواية :

تبدو رواية عرائس الصوف أقرب للقصة الطويلة فهي تميل إلى مزاج الكتابة القصصية من حيث الإطار العام في الغموض والرمزية وشعرية اللغة وقلة الأحداث والشخصيات هي رواية تدور في مرآة البطلة التي خرجت للحياة مع عيب خلقي (العرج) ونقص أمان وحنان (يتم الأم) تدور الرواية حول علاقتها الإشكالية (بدليلة) التي تسميها أختي وهي من زوجة الأب ومن زوجها الآخر الذي توفي قبل اقتران أبيها بها : " ماتت والدتي مع صرختي الأولى، وولدت " دليلة " يتيمة هي الأخرى بعدي بشهرين ، تزوج أبي من عوجة الصانعة ليضمن بقاءها في البيت وتربينا بعد أن أحاطنا اليتم ، لقد أعطتنا الحياة إمتيازا مؤلماً [٤]

تشترك البطلة مع دليلة بحب غامض لشخص واحد هو ابن العم نذر ، الذي إختار دليلة السمراء ابنة الصانعة للزواج الصوري أمام الناس فقط فيما إختار البطلة (مروانه) للحب والإنجاب، السرد في هذه الرواية يتكئ بشكل عام على ضمير المتكلم ،الذي عادة مايرافق الذاتية المشحونة بالعاطفة ،" فالوعي المُنعكِس ماثل في الحاجة إلى الآخر الكامن في الذات لا في خارجها، والمضاد للذات المُجهَّزة سلفا بوعي الآخر المُهيمِن الذي يُشكِّل نقصا في الأفق ينبغي تجاوزه، لكن معضلة التجاوز هذه لا تحدث إلا في حضن العالم الذي هو موضوع للتجاوز، فلا مجال لتحقيق شرط الكينونة إعتمادا على الاستغناء عنه، والإكتفاء بالذات الأخرى المُجاوِزة الكامنة داخل الذات نفسها[٥] إذن الذات التي عبرت عن هويتها البطلة كانت قد إتخذت ثلاث طرائق سردية لسبر أغوار نفسها وهي

المبحث الاول : السرد والهوية الشخصية:

ونعني به هنا حديث الشخصية عن نفسها بوصفها كائنا متميزا في هذه الحياة له بصمته الخاصة، هواجسه أفكاره شكله بيئته كل الأشياء التي تجعل منها هذه الشخصية بالذات وليست سواها " أن تشكل الهوية رهين بوعي الفرد بخصوصيته وتفرده عن بقية الأفراد حتى وإن جاء هذا الوعي من سبل تخيلية متراكبة لاتمتلك موضوعية واقعية ثابتة ف " إن تحكي هو أن تفسح فضاء تخيليا للتجربة أين يتحقق الحكم الأخلاقي ضمن صيغة شرطية[٦]

تدخل الكتابة بصوت سارد ذاتي يعتمد الأنا وسيلة للقص، تدخل القارئ معها منذ أولى المشاهد، هي وسيلة سردية ساحرة تعقد مع المتلقي صداقة سريعة ومغرية " إن مكر القارئ والقراءة وارد بشكل كبير، فكل القراء يجدون لذة في إلصاق ما يحدث في النص بكاتبه. ربما هي عادة إنسانية في سماع أسرار الذوات، إنه أمر ممتع، ويجد سنده أساسا في عدم الإستعداد الذي يبديه السامع أمام قصة لا يعرف شخوصها معرفة عيانية.(٧)

""بقيت الأيام التالية ثملة من العواطف التي تصب في جسدي ، ها أنذا رغم إعاقتي / رجلي الناقصة ، أجد نفسي قريبة من رجل يجعلني أهذي حبا بعد إن عبرت الليالي وحيدة غريبة حتى عن أبي .(٨)

تصف نفسها والعجز الذي تعاني منه ، والحب الذي غرقت به " فالذات تعاملت مع اللغة بوصفها لعبًة فنية إستطاعت أن تمرر من خلالها أناها بكل عوالمها ذات البعد الاجتماعي أو النفسي أو الفلسفي لتطوعها تطويعًا كاملاً لا مع بوحها بأسرار تلك الذات سواء أكان ذلك بطريقة شاعرية أم رمزية أم وصفية أم إيحائية(٩)

"ليلتها نمت على فراش خطيئتنا ، وتذكرت جنوننا الذي اقترفناه كثيرا تبسمت بلذة مسروقة من بين لحظات حزني ، مثل قطة جريحة أربض بسجني ونذر سجاني الأعذب أنتظر بلا إنتهاء في مهرجان الوجوه / الأصوات الكثيرة أنتظر نهاية ما عدت أعرف كيف ستكون .(١٠)

الأنا التي تحدثت عنها الرواية وتصورتها هي أنا واحدة لم تتغير أو تتطور خلال السرد، أعلنت منذ البداية عن عجزها ونقصها وإرتباك معرفتها وبقيت كذلك حتى النهاية كانت مخلصة لهذا التصور " الأنا الذي يسرد في مراحل سابقة من الطبيعي أن يتحول كل الأنوات المسرودة إلى هو أو اخر(١١) بمعنى أن تتشظى الذات إلى مجموعة من الأنوات لكل واحدة منها سمات خاصة ومختلفة عن غيرها ، لأنها ولدت في لحظة لها سياقها النفسي الخاص " وهذا مانستشعره موضوعيا بصورة واضحة عبر التجربة الشخصية المعاشة (أي خارج الإطار الفني) عندما يسترجع أحدنا موقفا مخزيا أو مخجلا كان قد جرى معه في وقت سابق ،

فيسعى الأنا الراهن في زمن الإسترجاع إلى الخروج من أناه السابقة المخجلة مثلا ليستعلي عليها ويحولها إلى آخر مهما بدت عوامل ماكان مخجلا مستمرة في تكوين "الأنا السارد الراهن[١٢]، لكن بطلة رواية عرائس الصوف تلتصق بتصور واحد عن ذاتها لايتغير ويرافق كل حالتها ، الطفولة ، الحب ، الأمومة ،الصداقة في كل اللحظات هي مرتبطة بغيرها ومحتاجة له تفهم نفسها من خلال مرآته:

"تعلقت بها كثيرا....

كانت النافذة الوحيدة التي اطللت منها على الحياة ، كانت أكثر جرأة مني ربما لأن أمها من ربتنا سويا[١٣].

اذن فهي متعلقة بدليلة ومعجبة بسلوكها ومعترفة بأنها متفوقة عليها ربما كما تقول لأنها لاتعاني من ذات النقص (يتم الام)

نذر لم يكن يغدق علي عطفه مثل الاخرين ، لم يحاول مرة أن يحدثني كناقصة .ليس ككثير من النساء اللواتي إدعين امنياتهم بتزويجي من أبنائهن غير أن عرجي ردهن.

العطف المجاني ما كان يقدم لي سوى المزيد من الألم[١٤].

تصورات الذات الساردة عن نفسها محملة بالخيبة والنقص وحاملة لوجع العطف والشفقة المجانية ممن يحيط بها :" أشفقت على نفسي ، وانهمرت دموعي خيبة ، تمتات القابلة تتصاعد ،عاودت سؤالها ولا إجابة ، أخرجتهم من حجرتي ، أغلقوا الباب علينا فيما انطلق سؤالها المر و كأني انسلخت من عالم بعيد[١٥].

كل المشاهد تتلوها الساردة بضمير الأنا بصوت حزين مخلص لتصوراته عن نفسه ، فهي ذات (الأنا) منذ المشهد الأول حتى النهاية ،هكذا يمكننا فهم ماهية هوية هذه الشخصية إعتمادا على أناها وتصوراتها ، خاصة إذ ما اتفقنا على فكرة أن " طرائق التحليل للنصوص قادرة على أن تطبق على الأفعال الإنسانية[١٦]. حينها سنقف بتأمل ونحن نحاور شخصية البطلة في هذه الرواية وهي تمسك بهويتها التي تتبنى الإنتماء لها ، هوية العاجز المتردد

الحزين ." في غرفتي وحيدة إلا من صمت بغيض كنت أحمل قماط صغيري أقبض عليه بقسوة، وكان صمتي يرتد إلي كنزيف داخلي ، فكرت بكلام سهراب ، فأي فم مطاطي علي أن أمتلك!

هدأت بعد أن بكيت طويلا..

وخيم على الجو البارد صمت قاس، إنتظرت طويلا علي أسمع وقع أقدامه ، لكن ، وحده الصمت البارد ظل ينخر ساعاتي(١٧).

هذه التصورات الذاتية التي شكلت هوية أنا السارد هي التي وجهت سلوكها الغائم المتردد طوال الرواية إذ " يقتضي كل محكي إنسجاما بين أجزائه ، بمعنى وجود منطق يبرر طريقة إشتغاله(١٨).وهذا ما فسر وجود البطلة الهامشي في الحياة إنها على حافة الأحداث لاتقرر ولا تختار إنما تنحني بقبول لكل ما يمر بها دون مقاومة تذكر ، لم تقاوم وجود (دليلة) البارز في حياتها ولا تلك الثقة التي استمدتها من وجود الأم لم تبذل جهدا لحجز نذر لحبها هي دون الأخرى ولم تقاوم حبه أو اقترابه منها بل استسلمت دون حتى أن تسأله عن مبرر لوضعه الشاذ والغريب ، وحين عقدت معها دليلة صفقة الستر مقابل الولد لم تنتفض أيضا ، واستمرت بذات السلوك السلبي تجاه الحياة ، هويتها الشخصية هي العجز والاستسلام ، حتى تلك المنلوجات التي كانت تدور بينها وبين ذاتها هي عبارة عن غرق في التيه والحزن والخيبة

المبحث الثاني: السرد وهوية الأنثى:

الهوية بوصفها إنتماء لجماعة ، تعيش ضمن ظروف متشابهة لها ذات المعاناة وربما ذات الإمتيازات ،"فالتمثلات السردية للعالم هي نتاج وعي الأفراد ، نساء ورجالا ، بأحوال العالم ووجودهم فيه ، فلابد من الإشارة إلى أن تلك الرؤى الفردية ليست منقطعة عن خلفياتها الإجتماعية والثقافية(١٩).

إذن كيف تتصور الذات السادرة نفسها بوصفها أنثى ماهي طريقتها للتعرف على هذه الجوانب وبأي صيغة سردية بررت هويتها الأنثوية ، هل يمكن لشخص سلبي إنسانيا أن يكون

مزدهر لإنتماء بايلوجي أصغر ، بمعنى هل يمكن للبطلة الساردة أن تتوهج في هويتها الانثوية وإن كانت منطفئة الحضور الإنساني ، البطلة التي تتعرف على نفسها كانسان ناقص كيف تتصور نفسها أنثى ، خاصة الفلسفات القديمة مثل الفكر الأرسطي قد حدد أن " المرأة رجل عاجز ، والأنثى هي أنثى لوجود عجز ما في قدراتها[٢٠]، النقص الذي ميز هوية الساردة كانسان داهمها كتصور عن نفسها كأنثى أيضا ، فهي تقارن جسدها بجسد دليلة الذي ضج بالحياة فما تأخر بلوغها وتأثر:

" :لكننا حين كبرنا ، أثمر جسدها سريعا ، فصارت مفاتن الأنوثة تعلن عن نفسها ، بحيث جعلت الرجال يفوحون رغبة، حتى إن سمرتها باتت مثيرة أكثر من بياضي الكالح ، ربما فيما بقيت أنا أبحث عن أنوثتي المتأخرة في المرايا فما عثرت إلا على ضمور هادئ وشباب خجل طال إنتظاره فقد سبقتني هي[٢١].

دليلة التي سبقتها كانسان له حضور أكثر ثقة سبقتها كأنثى ازدهرت في جسدها علامات الأنوثة وفي روحها دلائل الإثارة .لازال ضمير السرد هو المتحكم بالروي ومنطق الحكي، لكنه هذه المرة يضيف عبئا أثقل ، وعجزاً أكبر من العيب الخلقي (العرج) الذي جاءت به البطلة إلى الحياة ، هناك عبء أن تكون أنثى ضمن هذه السياقات ، وأن تعي معنى هذه الفكرة (الأنوثة) وطريقة تحققها في المجتمعات المغلقة .

١- هوية في إطار علاقتها بالرجل:

علاقتها بالأب لاتشوبها عقد أو مشاكل كما إعتادت الرواية الخليجية أن تصور المرأة خاصة تلك التي تكتب بأقلام نسائية باعتبارها الأقرب إلى روح هذه المعاناة الممتدة في جذور الواقع " إن الالتباس القائم في علاقة الرجل بالمرأة هو إلتباس ثقافي فثمة إيدلوجيا تبريرية استندت إلى فرضية ميتافيزيقية ، أحلت التعارض بين قدرات المرأة والرجل وإمكاناتهما[٢٢].مثل هذه العلاقة المستندة إلى فكر ثقافي تظهر بوضوح في المجتمعات المغلقة والبيئات البدوية مثل دول الخليج العربي ،لكن رواية عرائس الصوف اقترحت فكرة مختلفة لوصف هذه

العلاقة، فالأب والحبيب كانا هما أيضا يعانيان من نقص ويحملان همّاً وعجزاً ، لذا منحتهما البطلة التعاطف والمحبة ،كما أخذتها منهما.

"بات أبي حابس ليلته عندنا كان صامتا بهيبته التي إشتقتها .جاء إلى غرفتي طالبا أن يبيت "وردي" عنده ،حمله بين ذراعه بوقار يميزه ومضى إلى حجرته بعدما رمى بسؤاله عن صحة دليلة ،تنهدت بايماءة يعرفها ..تأكد حينها انني صرت أتقن الحزن يوما بعد اخر[٢٣] .

نقد الثقافة الأبوية هي احدى الركائز الثلاث التي اقترحها عبد الله إبراهيم في كتابه السرد النسوي لتكون ركائز الرواية النسوية ، ثم رؤية إنثوية للعالم وثالثها الإحتفاء بالجسد ، لا أجد مسوغا فنيا يجعلني أضع رواية ميس العثمان في خانة الروايات النسوية ، والهوية الأنثوية التي تتحدث عنها البطلة تفتقد ملامح تلك الحركة التي يسجل التمرد أول إهتمامتها ، لذا فالثقافة الأبوية بصيغتها الأقرب والأبرز (الأب) تظهر هنا بصورة حنونة ودافئة.

" لماذا لاتعرف أين دفنت أمي "

هل كان إمتقاع لون أبي بسبب السؤال الذي تجاوز هيبته دون أستئذان ، أم لأني أطلقته نحوه دون خشية من لطمة ترد على وقاحتي

صمت لف الزمن قبل أن تتدلق دمعة على جلبابه الغامق لينهض مسرعا بعيدا عنا ..عرفت حينها بأني فتحت في صدره جرحا قديما ،مساويا لعمري[٢٤].

وصف ضمير السرد (الأنا) معالم العلاقة مع الأب إعتمادا على المشاهد والحوار المبتسر ، وتلك أيضا خصيصة لا نجدها بوضوح في الروايات النسوية التي تميل إلى الحوار مع النفس وتفتح منلوجا داخليا شديد اللهجة العاطفية والتأزم لوصف العلاقة مع الأب من خلال تصورات وأفكار وهواجس حتى وإن وظفت فيها بعض المشاهد والحوارات بشكل محدود إلا أن سمتها الغالبة تبقى في توتر اللغة الذاتية العالية من فكرة " الأب. "

حتى الحبيب رغم غرابة العلاقة وشدة تعقيدها معه ، فهو زوج أختها رسميا وشرعيا ، ورغم ما يمكن أن تتحمل شخصية (نذر) من قيم أخلاقية متدنية سمحت له بالخيانة

وممارستها دون سؤال أو قلق أو تردد ، لكنها ترسم صورته بطريقة رقيقة دون أن تحمّله وز ما حصل لها.

"مثل طفل رائع كان "نذر"يرشدني إلى منابع الحب الوضاءة ، ماترك الخوف لينتثر بداخلي ، بل كان يجتثه باصرار عجيب ،.....، إخترته إختارني ، أوحده القدر إصطفانا من بين الخلق لنكون سوا ، راحلين نحو المسالك الأكثر جمالا ووضوحا وراحة .هناك في مكاننا كنت أكشف عن حطام عمري ، ويبعثر هو أسراره أمامي في ساعات الظهيرة الطويلة ،حتى لم يتبق لدينا مانكتمه .

معي كان مُشَرع القلب والروح [٢٥] .ركزت كل الكتابات النسوية على نقطة العلاقة بين الرجل والمرأة باعتبارها تأسيسا حقيقيا وصادقا لتصور المرأة عن ذاتها وهويتها بمعنى ذلك الوعي الفردي والجماعي باللاتكافؤ في العلاقات الإجتماعية بين المرأة والرجل وتلك الإرادة في تغيير هذا الوضع [٢٦].

٢- هوية الجسد:

"حينها أدركنا أننا صرنا فتاتين جميلتين قادرتين على لفت إنتباه شباب الحي ، وزهونا أكثر لأننا فزنا بقلب نذر ابن مصوب شيخ عشيرتنا القادم[٢٧]، يتضح أن السرد هنا يأخذ شكل المنلوج الداخلي ، وهو حوار الذات مع نفسها ، تارة محللة ومعللة وأخرى شارحة ومبررة وثالثة واقفة عند حد اللحظة الزمنية بتأمل ، المنلوج صيغة تشترك فيها أغلب الروايات المكتوبة بضمير المتكلم أنا ، فهو يمنحها تنويعا وغنى في أشكال الصوغ ، ولعل مثل هذه الطريقة هي الأنسب للحديث عن الجسد وإعلان الإعجاب به : " شعرت به يطوقني من جميع جهاتي ، ماكنت أعرف تماما أي إحساس يحمل لي ..لكنني كأنثى كنت على قدر معقول من الفطنة لأميز نظراته وتلاحق أنفاسه ، بل إنه حين أشار إلي من شباكه الواسع ،صباح زواجه ،كنت قد فهمت الرسالة كاملة [٢٨].

الهوية التي تعرفها البطلة (مروانه) عن نفسها كانت مكسورة بالإحساس بالنقص ، (العرج) مشكلة بالجسد ولدت معها مشكلة بالروح ، الجسد هو مفتاح السرديات الأولى يتبنى

موقف صاحبه من الحياة ، ويتبادل معه سرها ، والأنوثة بشكل خاص تبدأ بالإحساس بالجسد ثم الثقافة التي تترتب على هذا الإحساس ، وكلا الإحساسين (بالجسد إنسانيا وأنثويا) يتمثل في ذهن الساردة من خلال ماينقله الاخر لها ، فالعرج مدعاة لشفقتهم لذا فهو (مؤلم وجارح) فيما الأنوثة رغم إقترانها (ثقافيا) بالألم والنقص تبدو مدعاة للفرح ، لأنها تنعكس في عيون الاخر إعجابا وفتنة ، " إن الذات لاتعرف ذاتها مباشرة بل بطريقة غير مباشرة من خلال التعبيرات الثقافية بجميع أنواعها والتي يتم إنتاجها بالعودة إلى وساطات رمزية تنتج دائما وأساسا الفعل[٢٩].

٣- هوية الام :

الأمومة إحدى وسائل التعرف إلى الهوية الأنثوية ، تحدثت الساردة عن أمومتها ، عرضتها بحيادية لم تفصح رغم طريقتها الذاتية العاطفية بإحساسها الخاص بالطفل ، كانت تصفه وتصف علاقتها بها باحساس باهت : " بثوب أزرق كان " ابني" يحاول أن يخطو بارتباك يضحكه، فيسيل لعابه دافئا ، وبيدين ممدودتين للأمام أتى باتجاهي متمتما :

"اما ،اما "

كنا نرد على ندائه نحن الإثنان وفي القلب حسرة لاتحرق سوى نذر[٣٠].

كما الجسد الناقص والأنوثة المتأخرة تأتي الأمومة هي الأخرى منقوصة مثلومة الإحساس ، لم يغير إحساس الأمومة من (أنا) البطلة فبقيت على حالها وفية للعجز والإستسلام ، إستسلمت لليتم والعوق ، ولإحساس الأمومة الناقص ولأن " الشخصية مركّب إنساني إجتماعي حكمه إتساق ليس متجانسا بالضرورة عضوي وبيئي وثقافي شامل ،فتنضوي تحت العضوي الملامح الشكلية والنفسية ،والبنية الجسدية والجنس وتنضوي تحت البيئي مجمل العناصر الجغرافية والتاريخية والإنتماء القومي والعرقي [٣١] فإن الأمومة كفكرة تصاحب الجسد والأحساس معا قادرة على إقتراح لغة سرد تتناسب مع التصور الذي تعلنه عن نفسها فتفتح مجال الأحداث باتجاه أعمق ، الأمومة كتصور وهوية تتبناها الشخصية لاتظهر جلية في رواية عرائس الصوف ، هذه الرواية التي تحتفي منذ العنوان بالطفولة وبطقس اللعب

بالعرئس المصاحب لها لا تتورع عن المرور بطريقة باردة ومحايدة على حدث شاسع الدلالة السردية كالتحول إلى أُم.

وقد يكون السبب في عدم وجود واسطة تنقل لها هذه الهوية كما في الهويتان الأولى (إنسانة بعجز) الثانية (شابة لديها مايعجب)[٣٢] لكن الأمومة بقيت فعلا متعسر التصور عليها خاصة وإنها فكرة ذهنية وثقافية تتوارث قبل أن تكون سلوكا فطريا ، ولأنها تفتقد لصلة تجمعها بأم ، انقطعت سلسلة العواطف الدالة على الأمومة وتصوراتها هنا .

خاتمة ونتائج :

الهوية فكرة نقدية تتعلق بالمناهج الثقافية، تلك المناهج التي تهتم عادة بالسياقات العامة، إنها وسيلة لفهم طرائق عمل تصورات الذات عن نفسها وعن الاخر، هذه التصورات لاتتضح ولاتفهم إلا ضمن لعبة سردية فائقة الاحتراف ،وقد " تبنى السرد إشكال وجود إجتماعي وإيدلوجي للانسان عبر نسج حكايات ونصوص ، خرافية ،دينية ، أدبية ، ناظمة لجملة قيم ومعايير تتخذها الذات علامات دالة عليها تحفظ لها الوجود .

عبرت رواية عرائس الصوف لميس العثمان عن تصورات هوية خاصة بالشخصية ، لقد أوقدت هذه الشخصية فضول المتلقي لفهمها وإمساك هويتها عبر جملة من الاجراءات السردية المتناسقة والمتآلفة منها:

- السرد بضمير المتكلم (الأنا) هذه الصيغة السردية تمنح النص حرية الاقتراب الصادق من الشخصية وفهمها بطريقة أعمق وأكثر تنوعا تقنيا وفنيا ، بما يحمله من إمكانات لفتح أفق الحكي وتعدد مسارات منطقه.
- توظيف الاخر بطرق دالة للوصول إلى إجابة سؤال (من أنا) فمنذ المشهد الأول بدأت عملية المقارنة والقياس في الرواية إيذانا بوضع النقاط الأولى لادراك الهوية " كنا نلعب سوية ، يلقبوننا البيضة والسودة " وكنت أحزن من أجلها ".

- تعزيز الأحداث ومساراتها بالاتجاه الذي يخدم تصور البطلة عن نفسها ، فسلوكها العام جاء منسجما مع حوارتها الطويلة في ذاتها ، وعن ذاتها فليست من خطوة لاتشبه تلك التصورات ، الإنسانة والأنثى والأم التي تقع في طريق الاخرين دائما وتعجز عن اختيار طريقها.
- عدم وجود حوارات طويلة تضيع الأفق الدلالي الذي يفتحه السرد الذاتي ، فكل كلمة وسلوك وحدث مبئر عبر الشخصية الرئيسة الساردة والبطلة (مروانه)، لذا فقد تمكنت من الكشف عن هويتها بتركيز أعلى ويسر أكبر.

حاولت هذه الرواية أن تثير الهوية الذاتية وتطرحها كفكرة مرمزة ومليئة بالأبعاد القابلة للقراءة التأويلية الممتعة.

الهوامش :

١- الهوية والسرد ، بول ريكور ، حاتم الورفلي ، دار التنوير ، تونس ٢٠٠٩، ص ٦.

٢- المصدر نفسه ، ص ٨

٣- مرايا الهوية الأدب المسكون بالفلسفة ، جان فرانسوا مارؤكيه ، ترجمة كميل داغر المنظمة العربية للترجمة ٢٠٠٥ ، ص ١٥.

٤- رواية عرائس الصوف ، ص ١٠.

٥- الهوية السردية في الرواية العربية... التعارض بين التصورات والتحققات

عبد الرحيم جيرا ,٢٠١٥ .

٦- الهوية والسرد بول ريكور، ص ٧٨.

٧- الرواية المغربية النسائية تجليات المعنى وغياب الأنا ،مبارك بو عزي ، منشور في طنجة الأدبية يوم ٢٠١١/٨/٣.

٨- الرواية ، ص ٣١.

٩- الذات المروية على لسان الأنثى ، منال عبد العزيز العيسى،

١٠- الرواية ٥٠.

١١- سرد الاخر ، الأنا والأخر عبر اللغة السردية ، صلاح صالح، المركز الثقافي العربي٢٠٠٣ ، ص٦٥.

١٢- المصدر نفسه ، ص ٦٥.

١٣- الرواية ، ص ٩.

١٤- الرواية ، ص ٣٦.

١٥- الرواية، ص ٥٧.

١٦- الهوية والسرد ، ص ١٦١.

١٧- الرواية ٦٥.

١٨-هيرمينوطيقا المحكي المحكي ، النسق والكاوس في الرواية العربية ،محمد أبو عزة، الانتشار العربي،بيروت، ٢٠٠٧، ٩٥.

١٩- السرد النسوي ، عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،٢٠١١، ص٧.

٢٠- أنثوية العلم ، ترجمة يمنى الخولي، الكويت ، عالم المعرفة ٢٠٠٤، ص ٢٩.

٢١- الرواية، ص٩.

٢٢- السرد النسوي ،ص٢١٩.

٢٣- الرواية ص ٨٢

٢٤- الرواية ٨٣ .

٢٥- الرواية ٦١.

٢٦- الكتابة النسوية مجلة كلية التربية جامعة واسط ، ٢٦.

٢٧- الرواية، ص١١.

٢٨- الرواية ، ص ١٨.

٢٩- الهوية والسرد ، ص ٨٨.

٣٠- الرواية ٩٨.

٣١- الهوية والسرد ١٦٤.

٣٢- الرواية، ص٩.

مصادر البحث:

* أنثوية العلم ، ترجمة يمنى الخولي، الكويت ، عالم المعرفة ٢٠٠٤

* عرائس الصوف ، ميس خالد العثمان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٧

* السرد النسوي ، عبد الله ابراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،٢٠١١

* سرد الاخر ، الأنا والاخر عبر اللغة السردية، صلاح صالح ، المركز الثقافي العربي ٢٠٠٣

* الرواية المغربية النسائية تجليات المعنى وغياب الأنا ،مبارك بو عزي ، منشور في طنجة الأدبية يوم ٢٠١١/٨/٣

* متغيرات السرد في الرواية العراقية ، عبد الإله حبيب كاظم ورواء نعاس محمد مجلة كلية التربية جامعة واسط،العدد الخامس عشر ،٢٠١٤،ص١٠.

* مرايا الهوية الأدب المسكون بالفلسفة ، جان فرانسوا مارؤكيه ، ترجمة كميل داغر المنظمة العربية للترجمة ٢٠٠٥

* الهوية السردية في الرواية العربية... التعارض بين التصورات والتحققات

عبد الرحيم جير ٢٠١٥/٩/٧.

* الهوية والسرد ، بول ريكور ، حاتم الورفلي ، دار التنوير ، تونس ٢٠٠٩ .